بمناسبة رحيله

غور فيدال ..أسلوب رشيق وقلم لاذع

برحيله عن ستة وثمانين عاماً وهي السنوات الحقيقية لمكوثه بيننا وذلك بمنزله في هوليوود بعد إصابته بمضاعفات الالتهاب الرئوي بحسب ما صرح به ابن أخيه، تكون صفحة لاذعة من صفحات غور فيدال والتي كان يقرّع بها المجتمع الأميركي وسياسته قد طويت إلى الأبد مع ما كان يتناوله من مواضيع في السياسة والجنس والثقافة لأكثر من ٦٠ عاما كان يقول فيها دائما أنه يأمل أن نتذكره كإنسان مثقف كتب أفضل ما عنده طوال حياته .
كان فيدال رجلا مدهشا حقا تنوعت حروفه حتى اصبح من أشهر الكتاب الأميركان في العصر الحديث وقد برزت موهبته الكتابية بعد خدمته في الحرب العالمية الثانية، فعاش على قلمه متناولا كتابة العديد من المسرحيات المنتجة للتلفزيون ومسارح برودواي أشهرها مسرحية "أفضل الرجال

فيدال

أحمد فاضل

انتقل بعدها إلى السينما حيث قدم سيناريوهات لأفلام معروفة كفيلم "بن هور" الشهير عام ١٩٥٩، والذي قام ببطولته تشارلتون هيستون كما أتحف المكتبة الأمريكية بروائع رواياته مثل "بور" و"ميريا بريكنفريدج"، وفاز باستحسان النقاد والباحثين والقراء العاديين عن رواياته التاريخية مثل "جوليان" و"لنكولن" وقد وصفه الناقد الإنكليزي المعروف جونثان كيتس بأنه من أفضل كتاب المقالات في القرن العشرين التي كان يتناول فيها فيدال الفن والسياسة والدين والجنس ما أهلته كتاباته تلك لنيل الجائزة الوطنية للكتاب عام ١٩٩٣ ، كما كانت تستضيفه قنوات عديدة للتلفزيون أظهر خلالها مواقف شجاعة ضد ما أسماه بالعنجهية الأميركية تجاه الشعوب الضعيفة وكثيرا ما انتقد جورج بوش الابن خلالها .

ولد فيدال في ٣ أكتوبر / تشرين الأول ١٩٢٥ في ويست بوينت في نيويورك، حيث كان والده يوجين فيدال يعمل في الأكاديمية العسكرية لتعليم الطيران ، أما والدته نينا فكانت ابنة لأحد الوجوه الاجتماعية المعروفة في أوكلاهوما ، حمل كاتبنا الاسم الأول لجده غور والثاني لجده من أبيه مع أن والده كان يكره أن يحمل ابنه الاسم الأول بسبب عدائه لوالدته التي توقفت عن رؤية فيدال لها خلال السنوات الـ٢٥ الأخيرة من حياتها مما عزز من تمسكه بحب والده كثيرا .

قضى الشاب فيدال الكثير من طفولته في واشنطن وجرى ضمه إلى جده الذي كان عضو في مجلس الشيوخ بعد طلاق والدته من أبيه ما سمح له بالتعلم وقضاء ساعات طويلة بالقراءة نهل خلالها من مكتبة جده العامرة بمئات الكتب على اختلاف صنوفها فقرأ أثناء ذلك لفرانك باوم و مغامرات طرزان لأدغار رايس بوروز التي شغف بها وانتقل بعدها لقراءة الكتب التاريخية خاصة عن التاريخ الأميركي خلال القرن التاسع عشر، والتي قال عنها : (أردت أن أعرف كل تاريخ العالم بأسره) ، ومع دخوله سن المراهقة أرسل إلى مدرسة داخلية في فيليبس اكستر بنيوهامبشاير تخرج منها عام ١٩٣٤ وبدلا من الذهاب الى جامعة هارفارد لإكمال دراسته ذهب الى الجبهة ليشارك في الحرب العالمية الثانية ولما يزل في الثامنة عشرة من العمر ليخدم على ظهر إحدى سفن الإمداد الحربية الصغيرة التي أوحت له بكتابة أولى رواياته عام ١٩٤٦ والتي حازت الإعجاب خاصة من بعض النقاد الذين اعتبروها جزءا لا يتجزأ من أدب الحرب آنذاك.

بعد أن تم تسريحه من الجيش استقر في نيويورك وليتفرغ لكتاباته التي قربته من كاتب اليوميات المعروف أنيس نين صديق الكاتب المسرحي الشهير تينيسي وليامز، نين أصبح من أقرب الأصدقاء الى نفسه والذي كان يطلعه على كتاباته دائما ومنها روايته "عمود في المدينة" التي صدرت عام ١٩٤٨، ومع أنها عمل ينظر إليه باعتباره عملا رائدا في الأدب المثلي الجنسي والذي لم يرق للكثير من النقاد إلا أن العديد من الصحف الصادرة آنذاك كنيويورك تايمز ومجلة تايم ونيوزويك أشادوا بها وبمؤلفها، ونتيجة لذلك كتب فيدال لاحقا :(أنه منذ ذلك الوقت وأنا ألتقط بعناية درر التاريخ الأميركي لأصوغ منها قلائد فريدة وبرؤية جديدة بعد إن لم تكن هناك دراسات أكاديمية رصينة تعنى به منذ ما يقرب من خمسمائة عام)، ولم يكتف فيدال بكتابة الرواية فقد حاول التوسع في رزقه من خلال كتابة المسلسلات التلفزيونية والمسرحيات فقدم مسرحية "المسيح" عام ١٩٥٤ إضافة الى ما كان يقدمه من أعمال للسينما كسب خلالها أصدقاء جددا من الفنانين والفنانات أمثال جوان وودوارد وبول نيومان اللذين أصبحا من أقرب أصدقائه ، وخلال تلك الفترة توسعت دائرة معارفه لتشمل ضباطا كباراً واقترب كثيرا من جون كينيدي والأميرة البريطانية آنذاك مارغريت ، وعلى الرغم من تمتعه بكل تلك المكانة الاجتماعية لكنه ظل يعمل بجد في برودواي منتقدا في مسرحياته مجتمعه كما في مسرحية "زيارة لكوكب صغير" التي قدمها عام ١٩٥٧، أما مساهماته الجدية في السينما باعتباره كاتب سيناريو فقد قدم عام ١٩٥٠ "بندقية الأعسر" مع بول نيومان وبيلي ذاكيد ، و"بن هور" تلك الملحمة التاريخية الشهيرة، ثم مع تينيسي وليامز في "فجأة في الصيف الماضي" مع اليزابث تايلور ومونتغمري كليفت في السنوات الأخيرة من حياته، وفي فيلم "الفجر" عام ١٩٧٢ تخلى عن كتابة السيناريو لينضم إلى طاقم تمثيله الذي تولى إخراجه فيديريكو فيلليني مع أنه كان مترددا في خوض تلك التجربة لكن وسامته هي التي رشحته لذلك .

بعد عشر سنوات من كتابته المتواصلة للمسرح وسيناريوهات الأفلام التي حقق خلالها نجاحات كبيرة وهو لما يزل يعيش عقوده الأربعة، نراه في عقوده الثلاثة المقبلة يقضي جزءا كبيرا من حياته في ايطاليا زائرا لكبريات مكتباتها في روما بحثا عن الإمبراطور جوليان الذي توجه بكتابة رواية تاريخية ضخمة عنه تربعت على أعلى المبيعات في قائمة الكتب آنذاك ، استأنف بعدها مسيرته في كتابة الرواية لكنه لم يتخل عن كتابته لمقالاته اللاذعة التي وجه من خلالها انتقادات شديدة لمجتمعه الأميركي ولشخصيات شهيرة فيه حتى طالت تلك الانتقادات بعض المفكرين الأمريكان من أصل يهودي الذين وصفهم بأنهم عبارة عن طابور خامس لإسرائيل، وفي عام ١٩٦٨ قاد حملة كبيرة على ما وصفها بحرية التعبير الناقصة في بلاده انتهى فيها بتبادل الشتائم مع عدد من النقاد ومنهم وليام باكلي الذي وصفه بالمريض ، بعدها قام بشن هجوم عنيف وساخر على الكثير من خصومه من المثقفين الذين كانوا يشككون بمقدرته الإبداعية منهم كابوتي ترومان و جون أبدايك وجون بارث وغاس وليام وتوماس بينشون، جمع كل ذلك في مجلد ضخم احتوى على الكثير من مقالاته أسماه "الولايات المتحدة" الذي تضمن كتاباته في الفن والسياسة والخواطر الذاتية حاز بسببه على جائزة الكتاب الوطنية عام ١٩٩٣، وعلى الرغم من نجاحاته تلك في المجالات الثقافية والفكرية إلا أنه فشل في محاولاته العديدة للحصول على منصب سياسي منها ركضه مرتين دون جدوى في الانتخابات والحملات الانتخابية للكونغرس عام ١٩٦٠ عندما كان يعيش في إيدجووتر ومن ثم حملته لمجلس الشيوخ عام ١٩٨٢ كان يقيم حينها في كاليفورنيا، السياسة لم تكن في دمه منذ الطفولة كما يقول ويعلم لعبتها منذ فرانكلين روزفلت إلى جون كينيدي وجيمي كارتر وآل غور وأقاربه البعيدين الذين عملوا في السياسة.

في السنوات الأخيرة من حياته بدا فيدال أكثر عنفا في قناعاته السياسية والتحدث علنا ضد الامبريالية الأميركية حتى مع هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، لام فيها حكام بلاده بالتسبب فيها ودان غزو العراق ومحاولات الولايات المتحدة بالسيطرة على العالم ، ومن أحاديثه الطريفة أن شجرة عائلته تتحدر من بترونيوس، جوفينال، أبوليوس ثم شكسبير حتى بروست ولذلك تراه يقسو من وقته على كل ما هو بربري.

تلويحة المدى

■ شاكر لعيبي

هل يوجد مثقفون عراقيون اليوم؟

هذا التساؤل ثقيل الظل، لا يودّ استفزاز أحد. وهو طالع من الملاحظات والتعليقات الكثيرة التي نقرأها كل يوم، والتي تقطع قطعاً، في أحياناً كثيرة، أن هناك موتاً للثقافة والمثقفين ليس العراقيين فحسب إنما العرب، وأن هناك واقعاً مريضاً لدى المثقفين العراقيين، وأن "لا وجود لمثقف عراقيّ بالمعنى الذي يذهب إليه لفظ وفعل المثقف" كما يذهب جبار ياسين في تعليقه على مقالة جديدة لعبد الرحمن طهمازي. بل يذهب آخرون إلى أن هذا الحال قد وقع "منذ أن خضع المثقف والأديب للمنظومات الحزبية والأيديولوجية إبان أربعينيات وخمسينيات القرن المنصرم". استطراداً قرأنا حدّ الملل عن الموت السريريّ المفترَض للشعر العراقيّ، في مقالات بعضها نارية قليلاً، ومن دون رحمة.

(التبعيض) ينقص البعض. وقراءتهم لمقالة طهمازي "مثقّفون كالمثقّفين" كانت إجمالية لأنها لم تتوقف عند قوله " إن ما يلفت النظر، عند الكثير من مثقفي العراق، وهم الذين يعنوننا هنا، منذ الحرب العراقية الإيرانية.." التي تتضمن تحذيرين وجملتين اعتراضيتين. لعلهم يتحدثون، بإضمار غير مفهوم، عن (ظاهرة مريرة) عامة نشاطرهم في تشخيص ملامحها الرئيسية. لكننا، بحسن نية، لا نظن ذلك. ثمة في الثقافة العراقية نفيٌ مُعْلَن وعدم اعتراف مُضْمَر بالمثقفين العراقيين الكثر، الجادين الذين لعل أولئك النقاد والمعلقين الكرام يشكلون بعضاً منهم. لو أننا قمنا بجرد لأسماء النقاد والمعلقين والشعراء والصحفيين الذين ما انفكوا يُشخّصون حالة الخلل في الثقافة العراقية، منذ الحرب العراقية الإيرانية، حسب تحديد طهمازي، لتوصّلنا إلى قائمة طويلة تشكل بدورها ظاهرة مقابلة، ليست قليلة الشأن أبداً. هذا إلا إذا لم يَعتبر نقاد (الظاهرة المريرة) أنفسهم شطراً من الثقافة في العراق، أو أذا كانت تنقصهم المتابعة الجادة لأعمال أقرانهم في نقد الثقافة العراقية، واستطراداً جهودهم الإبداعية الأخرى، وهو ما نؤمن به بمرارة بفعل التجربة الطويلة.

المعنى الذي تحدّده اليونسكو لمفردة ثقافة مفيد هنا: إنها نظام عقليّ وسلوكيّ واجتماعيّ يتجاوز الفعل الكتابيّ والتعليميّ الذي يبقى جزءاً منها فحسب. تُستخدم، بشكل لا واع كما نحسب، مفردة الثقافة بين ظهرانينا بالمستوى الرفيع الذي يمكّن أن تحوزه. هذه الرفعة لائقة بمجتمع مدينيّ وسلوك مدنيّ ذي تاريخ عريق كالمجتمع الأوربيّ. لهذا السبب من المحتمل التفكير بعدم وجود (ثقافة عراقية) رفيعة حتى الآن، وإنما يوجد (مثقفون عراقيون) أفراد، كبار وبارعون ومبدعون ورفيعون، ولطالما اصطدمت الثقافة العراقية الخارجة من مجتمع عشائريّ وقيم غير مدنية، بـ(المثقفين العراقيين)، بل سخرت منهم أحياناً وطاردتهم وطردتهم من فضائها، بالدهاء أو الإكراه.

من المحتمل كذلك أن لا يُرضي مثل هذا التعريف (للثقافة العراقية) غالبية الفاعلين فيها، لأنه يمسّ، في آن واحد، الجوهريّ الوجوديّ واليومي المعتاد لديهم، نعني علاقتهم بقبائلهم ونسائهم وأسلوب عيشهم اليومي وتعالقهم بالزمن وتواشجهم مع فكرة المدينة ثم بميتافيزيقيا الوجود وبالأخلاق العامة التي لم تقع مساءلتها بشكل جوهري، بدءاً بمواصفات النميمة المُحْكمة وليس انتهاء بجميع ما يصفه طهمازيّ. كان المثقفون العراقيون دوماً في مواجهة هذا كله، أي في مواجهة الثقافة العراقية بعبارة أخرى، بدرجات متفاوتة من الإذعان أو الرفض.

المشكلة الأخيرة هي أن بعض (المثقفين العراقيين) لا يلتفتون لمنجز ونقد سواهم للثقافة في البلد، معتبرين أنفسهم نتاجاً استثنائياً نسيجَ وحده بهذا الشأن. اللهمَّ لا تجعلنا منهم....

موسيقى السبت

افتتاحية الأرليزية لبيزيه

ثائر صالح

يشتهر الفرنسي جورج بيزيه (١٨٣٨-١٨٧٥) بتأليفه أوبرا كارمن، واحدة من أعظم ما كتب في تأريخ الأوبرا، بالخصوص لأن مؤلفها ليس إيطالياً، فالطليان ابتكروا ومن ثم "احتكروا" فن الأوبرا. ألا أن أعماله الباقية لا تقل أهمية عن أوبراه الشهيرة، وإن نالت شهرة أقل بكثير.

كان بيزيه عازفاً بارعاً على البيانو برغم تجنبه الظهور العلني في الحفلات. يحكى أن الموسيقار المجري الكبير فرانس ليست قد عزف ذات مرة قطعة صعبة من تأليفه في أحد صالونات باريس، وبعد أن أكمل العزف (وكان أحد أفضل عازفي البيانو في أوروبا آنئذ) قال: هذه القطعة الصعبة لا يتمكن من عزفها كما دونت وبإيقاعها الصحيح سوى شخصين في كل أوروبا: هانس فون بيلوف وأنا. عندئذ جلس شاب من الحاضرين إلى البيانو، وعزف المقطوعة الصعبة وهو يقرأ النوطة الموضوعة أمامه. وبعد الانتهاء منها قفز فرانس ليست متحمساً وصاح: أخطأت سيداتي سادتي، ثلاثة أشخاص. وأبرع الثلاثة هو صديقنا الشاب. ولم يكن هذا الصديق الشاب سوى جورج بيزيه.

ألف بيزيه الكثير من الأوبرات أهمها (إلى جانب رائعته كارمن) صياد اللؤلؤ، وجميلة. ومن أعماله الأوركسترالية سيمفونية في دو الكبير وسيمفونية روما.

أما متابعة الأرليزيّة (البنتمنأرليه) فقد كتبها بالاستناد إلى موسيقى عمل موسيقى مصاحبة لمسرحية بنفس الاسم ألفها سنة ١٨٧٢. وهذه أصبحت تعرف باسم متتابعة الأرليزية رقم ١، لوجود ممتابعة بنفس الأسم جمعها أرنست جيرو بعد وفاة بيزية من موسيقى المسرحية بالإضافة إلى استعماله موسيقى من أوبرا بيزيه البنت الجميلة من برث.

سلامات فهد الأسدي

عواد ناصر

في منتصف السبعينات، وفي اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين التقيت فهد الأسدي، أول مرة، وكنت قرأت له مجموعته القصصية "طيور السماء" وقصة قصيرة نشرها في مجلة الشيوعيين العراقيين (الثقافة الجديدة) بعنوان "وجه الكلب" التي أثارت ما أثارت وقتها حتى أن القراءة البعثية الثقافية، آنذاك، حسبتها ضد السلطة، فمن غيّرها، حسب ما قالوه، يشبه "وجه الكلب" الذي جرى في لهجتنا الشعبية العراقية شتيمة ضد من لا يشبه وجه البشر.

كان فهد الأسدي كاتباً مسكوناً بالتغيير عبر "صناعة الجمال" في كتاباته ولم يمتلك وسيلة، غير هذه الصناعة، في خوض معركته الشخصية من أجل التغيير، ومكافحاً باسلاً ضد الدولة الشمولية وألاعيبها العنفية ضد معارضيها، سواء من داخلها أم من خارجها، وهذا ديدن دولة السرداب الأمني التي صعدت من سراديب المؤامرة إلى قيادة الدولة.

بسالة فهد الأسدي لم تكن عبر الراية والشعار والهتاف إنما عبر "صناعة الجمال" التي آمن بها، مبكراً، لأنها صناعة تختزن طاقة تعبيرية كافية لمواجهة "صناعة القبح" على ما امتلكته، وما زالت، من طاقات مهولة لا تبدأ بإعلام الدولة الأمنية ولا تنتهي بتزوير شهادة الثانوية لطالب ساقط كي يعبر إلى صفوف الجامعة ومن ثم الحكومة!

لقائي بفهد الأسدي، ذاك، رسخ عندي إعجابي بثقافته الثقافية والاجتماعية مشفوعة بفكاهة أخاذة وسرعة بديهة منقطعة النظير وحضور شخصي لامع في جلسة اتحادية محاطة بالمخبرين وكتاب السلطة ومحرري صحافتها الرسمية.

كلمتي، هذه، ليست قراءة نقدية لأعماله الإبداعية وهي كثيرة، ينبغي أن يتولاها ناقد موضوعي، وأنا لست موضوعياً لأنني أحب فهد الإنسان والكاتب، إنما هي وقفة أمام مصير مبدع عراقي أعطى زمنه الشخصي معنى أن يكون المثقف مع المستعبدين في معركة الحرية.

الأسدي لم يأخذ ما يستحق من مكانة حتى في ميدان النشر والدراسة ولم يقدم كوجه إبداعي في ميدان القصة القصيرة والرواية كما تمتع آخرون لا يبلغون موهبته وجدارته في التصدر والرواج.

سيكون أي اقتراح بشأن رعاية المبدع العراقي مضحكاً في دولة الفساد والطائفية، دولة الإهمال المتعمد لكل ما لا يمت بصلة للحكومة والبرلمان وحاشية السلطان، أو أكثر من سلطان الزمان العراقي الراهن، دولة تسخر من مفردة "مثقف"، بل هي تخشاه مثل ذلك الألماني النازي، وزير إعلام هتلر الذي قال: "كلما سمعت كلمة "مثقف" وضعت يدي على مسدسي.

المفارقة هنا، هي أن دولة صدام حسين كانت تبذخ على مناصريها ومؤيديها والمطبلين لها، من العراقيين والعرب والأجانب، وتمنح الجوائز السخية والمكرمات الباذخة لهم، بينما المثقفون العراقيون الذين اصطفوا مع الناس وعبروا عن أوجاعهم العميقة وأشواقهم الحائرة للحرية والتحرر من ربقة الدولة الفاشية السابقة لم يجدوا أي اهتمام يذكر من قبل من يدعون أنهم يبنون "العراق الجديد".

لالالا، نحن لا نستجدي ولا نطلب مكرمة ولا رشوة مالية مقابل ما قدمه مبدعونا من تضحيات أملتها ضمائرهم النقية بلا مقابل، ودفعوا أثماناً غالية في العهد السابق والأسبق، والأسبق أيضاً، بما لا يمكن مقارنته بما قدمه أي وزير أو عضو برلماني، حتى رئيس الوزراء الحالي نفسه.

من المخزي أن تهدد حياة مبدع عراقي، مثل فهد الأسدي، بينما ينعم الكذبة والأميون وحملة الشهادات المزورة واللاعبون على الحبال العشرة بالترف كله والأضواء كلها التي تفضحهم أكثر مما تقربهم من أنفسهم أو من مشاهديهم، في وقت صار الوطن في مهب الأكذوبة الجديدة/ القديمة: جئنا لنبقى.

لفهد الأسدي الرائد السردي المثقل بالطيور والبردي والهور الذي منحنا بهجة الجمال الخاص في نصوص مدهشة نقول:

سلامات فهد الأسدي.

سلامات "حلب بن غريبة".

سلامات طيور السماء.